المدن الليبية من خلال كتب الرحلات العربية والأوربية

(مدينة لبدة)

د. علي مفتاح إبراهيم منصور *

منح الله لليبيا موقعاً هاماً على ساحل البحر الأبيض المتوسط ومميزاً في منطقة الشمال الأفريقي مكنها من أن تلعب دوراً بارزاً في أحداثها على مر الزمن فقد كانت ممراً لمختلف الفئات من رجال علم وفقه ومسافرين وتجار ورحالة سوى التوربين نحو أفريقية لغرض البحث والاستكشاف والسيطرة أو العرب نحو الأرض المقدسة لأداء فريضة الحج كما كانت معبراً لحضارات وأديان وعرضة لهجرات بشرية وحملات استعمارية من فينيقيين (النيهوب 22؛الميار، 95) ورومان (التليسي، 35) ووندال (التليسي، 47) وإغريق والرحالة العرب الذين نحن بصددهم عبر العديد منهم الأراضي الليبية وفي فترات زمنية مختلفة زار العديد منهم الأماكن والمدن الليبية الواقعة على طول امتداد الطريق الساحلي الذي يبدأ من الحدود الليبية التونسية غرباً وحتى الحدود الليبية المصرية شرقاً حيث كانوا يقضون بها أياماً وأسابيع ويلتقون مع أهلها على اختلاف فئاتهم وثقافتهم .

وفي بعض الأحيان تكون مستقراً للبعض منهم والذي بدوره مكنهم من أن يكتبوا عن مختلف الجوانب فيها وخاصة السياسية والاقتصادية والفكرية والدينية مما جعل تلك الكتابات مصدراً هاماً لدراسة تلك الفترة من تاريخ ليبيا ومن بين تلك المدن التي زارها الرحالة العرب والأوروبين مدينة لبدة التاريخية التي أسسها الفينيقيون الذين قدموا من بلاد الشام (عبد العال، 122-123) وقد تعددت وتضاربت آراء المصادر التاريخية في زمن وصولهم إلى منطقة الشمال الإفريقي وإنشائهم مدينة لبده وقد جاء في الرأي الأول إن الفينيقيين كانت علاقتهم بمنطقة الشمال الإفريقي وخاصة الساحل الليبي الذي يمتد من صبراته إلى خليج سرت وجنوباً حتى ملتقى طرق القوافل التجارية في مدينة جرمه كانت منذ مطلع القرن التاسع قبل الثاني من الميلاد (النيهوب، 12-11) .

أما الرأي الثاني يردها إلى الألف الأولى قبل الميلاد عندما بدأ توسعهم في النشاط التجاري بحوض البحر الأبيض المتوسط حيث عملوا على إنشاء الكثير من المحطات التجارية على طول امتداد سواحله وخاصة ساحله المطل على منطقة الشمال الإفريقي واستخدامها كمرافئ

* كلية آداب زوارة، جامعة الزاوية.

لسفنهم التجارية التي تعبره وذلك لغرضي التزود بالمؤن وبيع ما يحملونه من بضائع لسكان تلك الأماكن التي أنشئت بها تلك المرافئ إضافة إلى استخدامها أماكن حماية لسفنهم من الزوابع والعواصف والأخطار والتيارات البحرية والأمواج العالية (الميار، 53) أما الرأي الثالث يشير إلى إن إنشاء تلك المرافئ التجارية على الساحل الليبي كانت في القرن السادس قبل الميلاد وبمرور الزمن تحولت إلى أماكن استقرار ومدن في القرن الخامس قبل الميلاد وأصبح لها شانها في منطقة الشمال الإفريقي (المرجع السابق، 111-112) أما الرأي الرابع يشير إلى إن علاقة الفينيقيين بحوض البحر الأبيض المتوسط قد بدأت منذ القرن الثاني عشر قبل الميلاد أما الدراسات الأثرية التي قامت بمدينة صبراته دلت على وجود محطات تجارية للفينيقيين على الساحل الليبي منذ القرن الثامن قبل الميلاد ومن بينها مدينة لبدة (المرشد إلى أثار لبده، 13) ومهما يكن من اختلاف على زمن وصولهم لليبيا فان الفينيقيين هم الذين أنشئوا تلك المحطات التجارية على الساحل الغربي لليبيا وبمرور الزمن تحولت إلى مراكز تجارية لعبت دوراً في أحداث حوض البحر الأبيض المتوسط عامه ومنطقة الشمال الإفريقي خاصة.

أما الذين أنشئوا المدينة من الفينيقيين فتشير المصادر ومن بينها سال وست بأن مهاجرين رحلوا من مدينة صيدا بسبب الصراع السياسي والاضطرابات ووصلوا إلى منطقة الشمال الإفريقي وتمركزوا على الساحل الغربي لليبيا وأنشئوا مدينة لبدة الكبرى وذلك في القرن الأول قبل الميلاد أما الشاعر اللاتيني سيليوس ايتاليكيوس يشير إلى أن مهاجرين من صور أنشئوا لبدة وصبراته أما أويا (البرغوثى، 324) فقد تم إنشائها من قبل مهاجرين من صقلية وبمساعدة عدد من الليبيين لهم (البرغوثي، 559) غير إن مصادر أخرى تشير إلى إن مهاجرين رحلوا من منطقة الشام هرباً من الصراعات السياسة والاضطرابات ونزلوا الساحل الغربي لليبيا حيث وجدوا بعداً عن تلك الصراعات التي شهدتها منطقتهم وأنشئوا طرابلس (بازامه، 18 كذلك الميار، 111).

موقع مدينة لبدة الفينيقية:

حسب المصادر التاريخية تقع علي مرتفع يقع مابين الغرم القديم ومصب وادي لبدة أما لبدة الرومانية فقد أنشأت وفق الهندسة الرومانية المتمثلة في مبدأ الشوارع (المتقاطعة عمودياً وتحتفظ بتناسب قطاعي للمدينة القائمتين على جانبي شارع واحد وهو محور المدينة هو شارع النصر الذي يبدأ من الغرم ويتجه إلى الجنوب الغربي) ونتيجة للتطور الذي شهدته المدينة فقد أنشأت العديد من المرافق بها أهمها السوق التجاري الكبير الذي يعد أساس نشاطها الاقتصادي

وذلك عام ثمانية قبل الميلاد والمسرح في السنة الأولى قبل الميلاد وخلال تلك الفترة لم يكن لها تحصينات دفاعية حجرية حيث كانت تحيط بها سلاسل من الكثبان الرملية التي تعد كوسائل دفاعية لها (البرغوثى، 557-558) وقد بلغت مساحتها في العهد الروماني سبعون هكتاراً وقد كانت تحيط بها أسوار من كل الجهات باستثناء الجهة المقابلة للبحر حيث كانت مفتوحة إضافة إلى ذلك إن الرومان طيلة سيطرتهم على لبده لم يكن لهم أي تأثير يذكر على البنية السكانية للبده إنما التأثير كان ظاهراً في النشاط العمراني للمدينة فقط. إلا إن بمرور الزمن قد شهدت توسعاً في القرن الثاني ميلادي في اتجاهاتها الشرقية والغربية حيث تم إنشاء مرافق جديدة أهمها الحمامات عام 126-127م بالقسم الجنوبي أما خلال القرن الثالث الميلادي أنشأت العديد من الأبنية السويسرية بين مجرى وادي لبدة (التليسي، 43) كما أقام المسرح والسرك خارج المدينة في القسم الشرقي من المرفأ وكانا يرتبطان بصف من المباني على طول الشاطئ وهذا التوسع والتطور الذي شهدنه لبدة لم يكن إلا بسبب ارتباطها بالأسرة السورية بدليل انهيارها بعد سقوط هذه الأسرة عام 235م بسبب الغارات الوندالية في منتصف القرن الخامس الميلادي. حيث هدمت أسوارها وأصبحت عرضة لزحف الكثبان الرملية التي لم يمض وقت حتى غمرتها بالرغم من المجهودات التي بذلتها في سبيل إيقافها إلا إن تلك المجهودات لم تفلح إلا إن أثار هذه المدينة بقيت شاهداً على تاريخها عبر الزمن (البرغوثي، 558).

أهم أثار مدينة لبدة:

المنارة وهي عبارة عن برج ذو أربعة أوجه وهي تقوم على رصيف حجري وهذا لم يبق منها إلا أساس برجها وزاويتها الجنوبية الغربية كذلك (الكوريا) وهو يوجد غرب المجلس البلدي وقد استخدم للنشاط الاجتماعي بمختلف صوره وأشكاله وهو عبارة عن ساحة مكشوفة ذات أربعة أضلاع قائمة الزوايا من الجهة الجنوبية والغربية كذلك معبد روما الذي تم إنشاؤه ما بين عام 14-19م وغيرها من الآثار التي بقيت شاهداً على عظمة هذه المدينة وتاريخها العريق(البرغوثي، 124).

الأسماء التي عرفت بهم لبده:

تشير المصادر بأن هناك اسمان عرفت بهما المدينة **الأول** (لبتس) وهو الاسم المتداول والمعروف أما الاسم **الثاني** فقد جاء من الاسم الفينيقي للمدينة لبتس (LBDVI) وتشير المصادر التاريخية بأن هذا الاسم قد وجد على النقود الفينيقية وذلك في القرن الأول الميلادي

ومن جانب آخر أن اليونانيين أطلقوا عليها أيضاً (نيا بولس) NEABLIS بمعني المدينة الجديدة.

لبده في القرن الأول قبل الميلاد:

إضافة إلى ما أشرنا إليه إن مدينة لبده كانت في القرن الأول قبل الميلاد دون حماية حيث تتمتع بمساحة شاسعة إلا إن الغارات الوندالية والدمار الذي لحقها في عصر سويرس دفع حكامها إلى بناء أسوار حولها وذلك لحمايتها من الغارات الأمر الذي أفقدها معظم مساحتها أما سكانها فقد بلغ خلال تلك الفترة حوالي ثمانون ألف نسمه ويشكل سكان البلاد غالبيتهم (المرجع نفسه، 124) وقد أورد العديد من الرحالة العرب شهادات عن مدينة لبده منهم الفاسي-الورثيلاني-العياشي-الاسحاقي-ابن ناص-العبدري ومن الأوروبين الرحالة الألماني رولفس حيث تناولوا مختلف الأوضاع والجوانب فيها وخاصة موقعها ومعمارها وأهميتها والموارد المائية التي تعتمد عليها والأحداث التي تعرضت لها عبر تاريخها وفى عهود مختلفة من العهد الفينيقي إلى العهد الإسلامي وفي فترات زمنية مختلفة.

لبده عند الرحالة العرب:

وأشرنا إن القادري والبوسي والورثيلاني والعياشى والاسحاقي وابن ناصر أرادوا شهادات بشان لبدة فهذا العبدري عند مروره بمدينة لبده عام 677هـ-1257م قاصداً الحج عبر الأراضي الليبية يورد شهادة يتحدث فيها عن مدينة لبدة بقوله (وهناك مدينة لبدة فيها أثار قديمة وبنيان عجيبة وفيها من أساطين الرخام والواجهة والقصر يعجز عنه الوصف وفيها صورة امرأة من الرخام بإزاء الطريق ولا شك إن لبدة كانت دار مملكة وهي الآن متهدمة (البس بها الأعمار قليلة وفي جنوبها بني مسلاته قوم يبرون أهل الدين يكرمون الحجاج هم علي خير وصلاح) (العبدري، 114-115) أشار العبدري إلى مدينة لبدة ووصفها بأنها مدينة تثير اندهاش الإنسان عندما ينظر لها ويشاهد عظمة بنائها وإتقان صناعاتها وهي من الممالك التي لعبت دوراً في تاريخ البحر الأبيض المتوسط كما أبرز الفن المعماري الذي وصلته المدينة خلال تلك الفترة كما تحدثه عن الحفاوة والكرم الذي لاقاه من أحد الأسر بمسلاته وهم بني حسن حيث وصفهم بأنهم قوم يبرون الدين وهم كرماء ويكرمون الحجاج وعلى خير وصلاح وهذا يوضح الحياة الدينية التي يعيشها أهل المنطقة وهذه الأسرة عكست ذلك .

أما العياشي عام 1633م يتحدث عنها بقوله (ارتحلنا من سواحل حامد ومررنا بقرية بوادي تاوغلات وفيه أثار ساقيه فيها قنوات تحمل الماء إلى المدينة المذكورة من عين يقال لها عين

كعام وفيها صنعة عجيبة وأبنية غريبة منحوتة عظيمة تحار فيها العقول فيها أحجار بطول أربعة أذرع والكثير منقورة في وسطها نقراً متقناً والحجر في غاية الصلابة قريب من الحجر الصوان والحاصل إن من رأى ذلك استغرب أن تكون قدرة البشر واصلة إلى ذلك المقدار وعلم إن دهراً قد أفنى أولئك الأفواج جدير أن يستأصل شاقة الأنام) (العياشي، 49) وتحدث العياشي عن مدينة لبدة من حيث بنائها والغرابة في ذلك حيث أشار بأن بناء المدينة لا مثيل له وإن العقول تحتار في هذا البناء الذي يمتلك صلابة أشبه بحجر الصوان كما تسأل عن الأعمدة وطولها الذي يبلغ أربعة أذرع كما أشار إن الزمن كفيل بأن يفني تلك الأبنية وتبقى ذكرى فقط غير إنه يمكن القول إن ذلك البناء يعد شاهد على التقدم والتطور الذي شاهدته لبدة في ميدانها المعماري (العياشي، 204 كذلك ابن ناصر، 50).

أما الرحالة القاسي تناول الحديث عن لبدة عند زيارته لها عام 1798م بقوله لها: (مررنا هناك بأثار مدينة كانت بالحجر المنحوت عليها أثر الضخامة وما بقي من مبانيها في غاية الإتقان وهي في غاية الكبر) (خشيم، 146).

وصف القاسي مدينة لبدة بأنها مبنية من حجر منحوت وهي ضخمة وإن أغلبها قد زال ولن يبقي منها إلا القليل والذي بقي منها بناء متناسق وجميل وهو في غاية الضخامة لم يأت الفاسي بشيء جديد حيث كرر ما أشار إليه الرحالة الذين قبله أما الإسحاقي أورد شهادة بين فيها مشاهده في لبده عند مروره بالأراضى الليبية وزيارته لمدينة لبده عام 1733م بقوله: (نزلنا عند النقيز ومررنا على ساحل حامد وهي بلاد ذات نخل ومزارع كثيرة وبطرفها من ناحية الضرب على ساحل البحر مدينة لبدة وإذ هي مدينة كبيرة قديمة ضربة من قبل الأوائل بها أثار بنيان هائل ورخام كثيرة تقابلها مدينة أخرى مثلها صخور على نهر متسع فيه الآن ماء قليل كان بها من الحسن والجمال وزرناً بهذه المدينة ووجدنا بها أشجار كبيرة سأل بعض الطلبة عن المدينة المذكورة لعل يوجد عنده شيء من خيرها لقد كان الوصول إلى مدينة لبده الأثرية التي جعل منها سبتموس سيفرنس لبدة العظيمة يوم الخميس الثالث عشر من رمضان اثنان وعشرين من مارس ومن الطريف إن استمتع إلى وصف ممتع لهذه المدينة القديمة التي تكون مع صبراته وأويا المدن الثلاثة على وقف الركب الأميري عند لبدة فشاهد أعمال النحاتين الرائعة ولم ينت الزائرين إن يبدوا إعجابهم بالحسن والجمال اللذين تتمتع بهما) (التازي، 57).

تحدث الاسحاقي عن مدينة لبده حيث وصفها بأن وجدها عامرة وبها أشجار كبيرة ومختلفة الأنواع غير أنه أشار إلى جهل بعض العامة بهذه المدينة بدليل أنهم لم يفرقوا بين لبده ولبدا

وعند العوده زارها من جديد وتحدثه عنها.. أما الرحالة الورثيلاني في النصف الثاني للقرن الثامن عشر يورد شهادة يتحدث فيها عن مدينة لبدة بقوله: (يلي ساحل حامد مدينة عظيمة يقال لها مدينة لبدة قد خلت في العصور الأوائل وبقت أثارها ورسومها أكل البحر كثيراً منها وفيها مباني عظيمة وهياكل جسيمة وأبراج خارجها مبنية بالحجر المنحوت في غاية الإتقان قد هدم الدهر وما هدمت وتعاقبت عليها الأزمنة وما تأملت فترى الأبنية ماثلة على رؤوس الجبال مد البصر بحكم الحدس إن كل ما كان داخلها كل مدينة واحدة إلى البحر وترى أعمدة الرخام وغيره واقعة في وسط البحر قد أحاط بها الماء بحيث لا يرتاب إن البحر أكل كثير منها ومن هذه المدينة تنقل كثير من أعمدة الرخام إلى طرابلس وإلى مصر وإلى غيرهما من البلدان) (الورثيلاني، 611-162) تحدث الورثيلاني عن لبده حيث وصفها بأنها مدينة عظيمة إلا إن العوامل الطبيعية وتعاقب الزمن عليها وما تعرضت إليه من تدمير مما أزال معظمها وأن العديد من أعمدتها قد نقلت إلى مصر وإلى طرابلس مما أفقدها أغلب معمارها كما أورد شهادة أخرى بين فيها من بنا هذه المدينة بقوله: (ويقال إن بانيها الملك دقيوس وبعد وفاته تملكتها امرأة اسمها رومية وذكر إن دمشق بن النمرود لما بنى دمشق بمضي ثلاث سنين أمر أن يبني مدينة بالمغرب فبني هذه المدينة وجعل لها الماء من وادي كعام في بناء متسق يحارا ناظرين فيه وأثار البناء والماء باقي إلى اليوم فتصل من طرفي الوادي إلى أطراف المدينة إلا إن ماء هذا الوادي كان حلواً غزيراً وكان مما يشير عند أهلها أنه إذا بدأت الملوحة في ماء الوادي بذلك علامة خرابها أخذ أهلها في الانتقال منها والله أعلم) (الوثيلاني، 162).

كما تحدث الورثيلانى عن شجرة الزيتون وكيف وصلت إلى لبده:

بقوله (أخبرني بعض أهل تلك البلاد إن الملك الذي بني هذه المدينة وقع في عسكره حتى تفانوا ولم يدر السبب فأمر بشق بطن واحد منهم وشق عن قليل فوجد فيه دودة فعلم إن ذلك سبب مولهم فأمر بصب جميع الأدوية عليها واحد فواحد فلم تمت حتى أخرج زيتاً كان عنده في قارورة من أرض الشام فصب عليها قطرة فيه وماتت فعلم أن دواء ذلك المرض أكل الزيت فبعث إلى الشام وجاء بغرس الزيتون فأمر بغرسه في تلك الأوطان كلها من مصر إلى سوسة بتونس وإعمالها من تلك الساعة بقي الزيتون في هذا البلاد) (الورثيلاني، 183).

أشار الورثيلاني إلى شجرة الزيتون وكيف وصلت إلى لبده وانتشار زراعتها حيث ذكر بأنه كان بأمر من ملك المدينة الذي وجد في زيتها علاج لمرض أصاب جنوده عندما أحضره من الشام حيث تم زراعتها وعلى نطاق واسع بالمدينة وفي المنطقة الممتدة من مصر إلى تونس أما اليوسي يورد شهادة عند مروره بالأراضي الليبية وزيارته لمدينة لبدة عام 1110-1690م بقوله:

(ومررنا بشعاب يقال لها النقازه وهي مرحلة قبيحة صلبة ذات حجر ويحكى إن هنالك مدين) (الورثلاني، 182).

أهل الكهف ولاشك إن هنالك أثار البنيان العتيق ولا ماء فيها وبتنا بساحل حامد وهي أرض كثير النخيل والبيارة وغدا مررنا ضحى بمكان يقال لها عين كعام وحذرونا لمائها أشد الحذر وذكر محمد بن هاشم الحسني أعزه الله إن مائها يورث الحمى بإذن الله تعالى) (الحرارى، 419).

تحدث البوسي عن النقازه وشعابها وهي مرحلة صعبة العبور وإن ملئها غير صالح للشرب حيث يودي إلى الإصابة بالجمة وهنا نتساءل كيف عرف ذلك وهو ماراً بالمدينة فشهادته كانت من خلال السماع فقط أما القادري فلم يتعرض لحديث عن مدينة لبدة إلا إشارة عابرة بقوله: (وصلنا عشيه موضعاً يعرف بالنقازة واستهل علينا شهر رمضان ومن الغد وهو يوم الأحد أول يوم من رمضان رحلنا وسرنا نحو ساحل حامد ذات نخل واسعة الفضاء وصلنا قبل العصر وادياً يقال له وادي لبدة فاستقينا منة (الحراري، 40) بين القادري بأن هناك وادي لبدة وأنه غني بالمياه حيت شربوا منة مما يؤكد على وجود لبدة وواديها خلال تلك الفترة).

لبده لدى الرحالة الأوروبيين:

أما الرحالة الألماني رولفس في رحلته من طرابلس إلى الإسكندرية يقدم لنا شهادات يصف فيها مدينة لبدة بقوله (على حالها كما تركناها في أحسن الأحوال فان بعض الأعمدة قد أخذت بأمر الوالي الحالي علي رضا باشا بنقلها من هناك إلى طرابلس كي يزن بها منشأته ومن المؤكد أن من الغرابة الاستعلام فيها إذا كان الرمل قد طمر لبدة دفعة واحدة أو مع الزمن واعتقد أنه يجيد الأخذ بالاحتمالين لأنه بعد الدمار الذي لحق بليدة الكبري الأول مرة وجد بوابتان المدينة الرئيسية وبالأخرى المدينة الغربية وقد غطتاها الرمل إلى درجة جعلته يتخلى عن ترميمها ووجه جل جهده إلى المدينة الجديدة أو الشرقية .

ويبدوا أنه هب إعصار غير عادي غمر المدينة ببحر من الرمل بعد تدميرها على يد الوندال واستمرت كعواصف لأقل شدة تحمل الرمل إليها وبذلك أتى الوقت حيث غابت عموم لبدة وعلى الأقل المدينة الغربية وهي فعلياً المدينة الرئيسية أو لبدة الحالية كما يظهر لنا أنها تشكل ثلاثة أقسام رئيسية المدينة القديمة ذات الأسوار العالية والسميكة الواقفة على جانبي الوادي وتقع الكتلة الرئيسية منها على الضفة اليسرى بينما يبدوا إن ما يوجد (رولفس، 97-99) علي الضفة اليمني ليست سوى أقواس قرب البحر في الجنوب من حصن المرقى الغربي يبدوا

إن سور المدينة الخاص بالجزء الشرقي منها كان في ذات الوقت صور المرقى ويسقط على الأقل الجانب الجنوبي للحصن على اللسان الأيمن للوادي مباشرة في حوض المرقى القديم.

وتشكل هناك أرضية جميلة ومازالت الأحجار الضخمة التي كانت تثبت بها السفن كما توجد الأدراج التي كانت تؤدي إلى المرفى وبالطبع يتم الصعود على الأدراج للوصول للأرضية الرملية التي حملتها الرياح والبحر والمدينة القديمة وحدها تختص بالأبنية العامة من قصور وكنائس والسوق إلى آخر إلا أنها جمعياً قد غمرها الرمل حتى منتصفها والبعض منها مغطاة بأكملها ويسميه بارث بوليس) والمدينة القديمة كانت فعلاً كذلك بل الأرجح إن الرأس الغربي مع التحسينات التي ما تزال هي اليوم تشير الإعجاب وهو غير مسكون أصلاً لأنه لا يوجد على هذا الرأس وهو صيفه من أن يتسع لصفين من البيوت ويمكننا التصور بأنه مقتصر على المساكن الخاصة للإغريق والرمان اثار الأبنية سوى تلك التي تشير إلى الدفاع والحماية ولهذا الفرصة البقايا الثلاثة للأسوار التي تفصل الرأس عن المدينة القديمة حيت تبين إن النقل الفعلي للتحسينات يمكن هنا أن الأبنية الضخمة المشيدة لحجارة مربعة مازالت بجمعها بحاله جيدة (رولفس، 97-99) تحدث رولفس عن مدينة لبده بأنها كانت مدينة عظيمة إلا إن العوامل الطبيعية والبحرية كان لها دوراً في طمس معالم المدينة بالرغم من وجود تحصينات قوية.

كما ذكر بأن لبده تتكون من ثلاثة أقسام وهي تقع على ضفتي الوادي الضفة اليمنى توجد عليها الأقواس وهي قرب البحر كما توجد على الضفة الأخرى العديد من المساكن الخاصة الإغريق والرمان وإنه لم يتمكن من زيارتها بسبب أمواج البحر إن هذا الوصف كان دقيقاً حيث كان من خلال المشاهدة مما أعطى صورة لمعمار لبده خلال تلك الفترة أما في رحلته رحله عبر أفريقية 1865م قدم وصفاً للبده بقوله: (لقد غلقت هنا أن أزور أثار لبدة الرائعة التي أثارت وحشتي فقد كانت زيارتي لها سريعة إذ إنني رحلت عنها يوم 5 مايو عائد إلى طرابلس عبر مسلاته وهذا الطريق ذو مناظر رومانتيكية عديدة وإطلالات مفاجئة إلا أنه ليس مدرجاً لعربة أوربية لإبل من الصعب عبوره إن عربات الفينيقيين والإغريق والرومان قد عبرته فإننا نلاحظ ذلك من أثار (رولفس، 100) العجلات وقد حفرت مكان عبورها في الصخور وتشكل المناطق الجنوب الأثرية العديدة والقصور والقلاع والقبور والبيوت المتناثرة في هذه المنطقة منظراً حزيناً من ناحية في حسن إن الحقول المزروعة بأشجار العنب والتين والخروب والزيتون والبرتقال يثيروا فيها عزاء للنفس فقد تحددت من الأجناس الغابرة أجيال جديدة تعمل بنشاط وأن النباتات ليست قليلة في هذه المنطقة الجميلة التي تروى من الآبار والمجاري المائية.

وتشاهد على الطريق أشجار الزيتون البري وأشجار البلوط ذات الأوراق الصغيرة وأشجار الأثل المحيط بجوانب السواقي وعلى سطوح الجبال التي لا يغطيها العشب تنبت إلا رثيميزيا الفواحة وغيرها من النباتات الطبيعة وتعبر جانبي الطريف الرأسي ووديان منطقة من الجبال توفير فرصاً جيدة للصيد وأعداد هائلة من الحمام اتخذت أعشاشها في الفجوات الموجودة في السفوح الجبلية والجمل البحيرة عبر الأمواج والبط البري يبعث الحياة في هذه العزلة وغالباً ترى هنا من الحيوانات ذات الأربعة قوائم الأرانب والثعالب وابن آوى وفي بعض الأحيان نجد الخنزير البري وبعض الحيوانات المفترسة الصغيرة والفهود والأسود وقد انقطع أثرها في هذه المنطقة ولدى انطلاقتنا من لبدة تتبعنا في البداية المجرى الجنوبي الشرقي لوادي لبدة تم للقينا ذروة الجبل وسرنا باتجاه الغرب (رولفس، 100).

أشار إلى المدينة في العهد الروماني وإنها لم تحمل اسم المدينة الجديدة وكان بنائها من قبل مهاجرين من مدينة صيدا بعد أن هاجروا من بلدهم لبنان إلى منطقة الشمال الإفريقي واستقروا على الساحل الغربي لليبيا وأصبحت مدينة عظيمة لعبت دوراً رئيساً في أحداث البحر المتوسط وفى منطقة الشمال الإفريقي وإن غناء لبده الزراعي راجع في الموارد المائية التي تنعم بها لبده وخاصة واديها كما أشار إلى منظر الطريق وإلى سفح الجبل والأشجار التي يزخر بها كذلك أشار في حديثه إلى العديد من الحيوانات البرية المفترسة مما يؤكد غنى المنطقة نباتياً.

إن الشهادات التي قدمها الرحالة العرب والأوربيين وفى فترات زمنية مختلفة والتي وصفوا فيها لبده وأثارها والأحداث التي عاشتها في حوض البحر الأبيض المتوسط تعد مصدراً هاماً لمعرفة تاريخها القديم الذي مرت به عبر العصور وعلى العموم إن مدينة لبده مازالت قلعة شامخة تحكي أيامها وأمجادها الخالدة وأحداثها ومعاركها وأفراحها وأحزانها التي عاشتها عبر الزمن.

المصادر والمراجع

1- الصادق النيهوب، تاريخنا الكتاب الثاني من القرن السابع قبل الميلاد وحتى سقوط قرطاجة، منشورات مركز جهاد الليبيين ضد الغزو الايطالي.

2- المرشد إلى أثار لبدة.

3- خليفة محمد التليسي، ليبيا من الفتح العربي وحتى 1911م، الدار العربية للكتاب، ليبيا، طرابلس، 1974م.

4- رولفس، رحلة عبر إفريقيا، دراسة وترجمة عماد الدين غانم، الطبعة الأولى، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، سلسلة النصوص والوثائق.

5- رولفس، رحلة من طرابلس إلى الإسكندرية، ترجمة عماد الدين غانم، الطبعة الأولى، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، 2002م.

6- علي فهمي خشيم، الحاجبة من ثلاثة رحلات رحلة الفارسي رحلة الناصري رحلة المنالي، الطبعة الأولى، دار مكتبة الفكر، طرابلس، 1394هجرية-1974م.

7- عبد الحميد سعد زغلول، محمد الهادي أبو شعيرة، محمد حسن عطية، نبيلة عبيد، رحلة العياشي، ماء الموائد ليبيا، طرابلس-برقة، الطبعة الأولي، الناشر منشأة المعارف، الإسكندرية، جلال يحي وشركاه، 199 م.

8- عبد الحفيظ فضل الميار، الحضارة الفينيقية في ليبيا، دار الكتب الوطنية، بنغازي، 2001م.

9- عبد المنعم السيد عبد العال، لهجة شمال المغرب، الطبعة الأولى، الجزء الأول، 1980م.

10- عبد اللطيف محمد البرغوثي، تاريخ ليبيا الإسلام، منشورات الجامعة الليبية، بيروت، 1973م.

11- محمد مصطفي بازاما، هذا الاسم في جذوره التاريخية.

12- محمد الحراري عبد السلام، ليبيا لدى الرجاليين المغاربة في القرنين السادس عشر والسابع عشر ملحق رحلة القادري واليوسي، شعبة التثقيف والإعلام، طرابلس، 1998م.

13- محمد شنيب، رحلة محمد الورثيلاني نزهة الأنظار في فضل التاريخ والإخبار، الطبعة الثانية، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، 1414هجرية-1974م.

14- محمد الأمين، الكنعانيون الشرقيون محاضرات الموسم الثقافي 1979م-1980م، إعداد عبد السلام الجفائري، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية 1980م.